المخطوطات

مخطوط فتحنامه يمن
تأليف مصطفى رموزي
محمد حرب

مقدمة

هذا المخطوط : تسجيل تاريخي باللغة العثمانية (= التركية) ، شعراً ، يندرج في دائرة كتب الفتوح العثمانية الخاصة بالبلاد العربية ، وهي كتب لها أهميتها الخاصة في كتابة تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية . لأنها تقدم للباحثين المواد التاريخية الأصلية في موضوع تطور العلاقات العثمانية العربية منذ بدايات القرن السادس عشر الميلادي . وهذه الكتب - أي كتب الفتوح العثمانية المتعلقة بالبلاد العربية - تقدم للباحثين المواد الأصلية للوجود العثماني في منطقة الخليج والجزيرة من ناحية الترتيبات العدلية والتشريعية والإدارية والعسكرية والمذهبية وعلاقات السلطة العثمانية بالسكان المحليين وبالقبائل المختلفة . كما تقدم للباحثين مواد مفيدة في دراسة طبوغرافية المنطقة ودراسة طرقها وتخطيط مدنها ، ومنازلها والحالة العمرانية بها والأحياء والقبائل والعادات والأزياء والسلوكيات فيها (١) .

ومخطوط فتحنامه يمن الذي نعرض له في هذه الأسطر ، واحد من كتب الفتوح العثمانية الهامة في دراسة تاريخ اليمن والحجاز بل ومصر ، في القرن السادس عشر الميلادي .

فتح نامه يمن كتاب منظوم يصور فتح سنان باشا لليمن في عهد السلطان سليم الثاني (١٤٦٧ - ١٥٢٠م) ولهذا المخطوط عدة أسماء أشهرها فتح نامه يمن ، لكن عناوينه الأخرى هي :

١ - كتاب " تواريخ أخبار سابقة " ولايَت يَمَنْ وفتوحات جديدة ولايَتْ يَمَنْ وفتوحات حلق الوادْ وَتوُنُس " ، وهذا العنوان وارد على واجهة مخطوط "روان" في مكتبة طوب قابو .

٢ - " تاريخ أخبار ولايت يمن "- وهو اسم يرد في ثنايا نسخة روان أيضاً

٣ - فتحنامَه يمن " ويرد في نسخة جامعة إستانبول .

٤ - " تاريخ فتح نامَه يَمَنْ " ويرد هكذا في نسخة جامعة إستانبول .

٥ - " نامه فتوح يَمَنْ " وهو اسم لهذا المخطوط ورد في ثنايا شعر المؤلف .

ولم يمتلك الباحثون - بعد - معلومات وافية عن " مصطفى رموزي " ، مؤلف المخطوط . ويعد كتابه - على قلة ماوورد فيه من معلومات عنه - مصدراً أساسياً لمعرفة حياته . وبين أيدينا مصدران عثمانيان أوردا معلومات قليلة عن حياة " مصطفى رموزي " هما :

١ - " كُنْهُ الأخبار " ، وهو كتاب تاريخي صنفه المؤرخ العثماني المشهور " عالي " (٥٤١هـ - ١٦٠٠م) الذي خدم الدولة العثمانية في بندر جُدة .

٢ - " كُلشَنِ شُعرا "من تأليف عهدي أحمد جلبي (توفي عام١٠٠٢هـ = ١٥٩٣م) وما نعرفه من اسمه أي المؤلف هو " مصطفى " أما " رموزي " فهو " مَخْلَصه " ، والعادة عن الشعراء العثمانيين أن يتخذ كل منهم اسماً شعريا - غير اسمه الحقيقي - يُعرف به ، وهو مَخْلصه .

ولد " مصطفى رموزي " في ألبانيا ، ويمكن القول إنه كان قد بلغ الخمسين عندما ألف كتابه هذا فتحنامه يمن . ونظراً لأن الكتاب ألف عام ٩٧٧هـ = ١٥٦٩ - ١٥٧٠م فلابد بالضرورة أن يكون " رموزي " قد ولد عام ٩٢٧هـ = ١٥٢١م .

نوع دراسة وتحصيل " مصطفى رموزي " غير واضحتين ، إلا أن كتابه يفصح عن أن مؤلفه عميق الثقافة الإسلامية يعرف اللغات الإسلامية الرئيسية الثلاث في عصره وهي : العربية والفارسية والعثمانية (= التركية) . وهي لغات كان على المثقف المسلم ثقافة عالية - وقتها - إجادتها .

وقد عمل رموزي موظفاً في الدولة العثمانية ثلاثين سنة اشتهر أثناءها بالصدق والاستقامة ، ولنفس السببين عُيِّن في خزينة مصر ، وعمل مع ثلاث باشوات (ولاة) حكموا مصر باسم الدولة العثمانية .

ونظراً لكفاءته واستقامته - كما أوضحنا - ووضوح ذلك لدى الولاة الذين عمل معهم ، تم تعيينه " دفترداراً " على اليمن . وقد بقي في كل من مصر واليمن عشر سنوات (٢) .

وأثناء عمله دفترداراً لليمن كتب رموزي كتابه فتح نامه يمن وكان وقتها في صحبة سنان باشا قائد الحملة العثمانية على اليمن ، وكان من المقربين له . وقصة الحملة ، كانت كالآتي :

فقام الزيديون بقيادة الإمام المطهر (١٥٠٣ - ١٥٧٢م) بتمرد ضد العثمانيين في اليمن عام ١٥٦٧م وعنيت الدولة العثمانية فوجه (أي الكبير) سنان باشا (١٥٢٠ - ١٥٩٦) والي مصر قائداً على رأس جيش لإخماد هذا التمرد .

قام سنان باشا بمهمته من أبريل ١٥٦٩م حتى مارس ١٥٧١م . وكان رموزي مصاحباً له وشاهد كل الأحداث والفتوحات التي قام بها سنان

باشا . وقد سجل كل ما رآه ، بناء على أمر سنان باشا له . وعند تنفيذه هذا الأمر ، كان كتابه هذا .

ويقول المؤرخ "عالي" إن مصاحبة رموزي للباشا ، وحب الباشا له ، ثم تنفيذه لأمره بكتابة كتابه هذا عن مهمة هذا الوالي في اليمن ، جعله - أي الوالي - يصدر أمره بتعيين رموزي " دفتردارا " لليمن .

وأثناء اشتراك رموزي في حملة سنان على اليمن ، اشترك في القيام بأعمال دبلوماسية أيضا ، إذ أنه اشترك في الوفد العثماني الذي قابل المطهر الزيدي في ٢٠ ذي الحجة عام ٩٧٧ (= ٢٦ مايو ١٥٧٠م) عقب عرضه الصلح على العثمانيين .

ومن هنا نجد أن أحداث كتابه فتحنامه يمن (= تاريخ فَتْحِ يَمَنْ) تمثل مشاهدات شخصية للمؤلف ، ومع وجود أقسام سمعها من الآخرين وبعض أماكنه دراسة قرأها واستوعبها (٣) .

ويقول قطب الدين المكي (ت ٩٩٠هـ = ١٥٨٢م) صاحب كتاب " البرق اليماني في الفتح العثماني " في مقدمته لكتابه هذا إنه استفاد كثيرا من كتاب " فتحنامه يمن " لمصطفى رموزي ، كما يذكر رموزي بالرحمة ، ويصرح بذلك في قوله : «وأعطاني حضرة الوزير المشار إليه [يقصد سنان باشا] أعلى الله تعالى مرتبة لديه . نسخة من تاريخ فتح اليمن ، منظومة باللسان التركي ، للمرحوم المبرور ، مصطفى بك الرموزي ، أمير اللواء السلطاني ، و (دفتردار) ممالك اليمن ، تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، لأستضيء به في الاطلاع على بعض أحوال تلك البقاع ، وهو تاريخ في أعلى درجات اللطافة ، ليس له نظير في الكياسة والظرافة ، أناف على الحسن غاية الإنافة ، غير أنه لما كان منظوما لم يتمكن ناظمه من أداء المعنى بالتمام . ولو بلغ حد الإعجاز في حسن أداء الكلام . على أني انتفعت به كثيرا في الأخبار ، وعولت عليه فيما ثبتت صحته عند نقله الأخبار ..» (٤) .

وبما أن تاريخ وفاة مصطفى رموزي غير معروف ، فإنه اعتمادا على نص قطب الدين المكي يرى بعض المؤرخين أن وفاته كانت بعد ١٥٧٧م وقيل ١٥٧٧م .

وسنان باشا يطلقون عليه صفة قوجه (وهي كلمة تركية معناها بالعربية الكبير والمتقدم في السن) ، ألباني الأصل ولد في ألبانيا عام ١٥٢٠م وتوفي في إستانبول عام ١٥٩٦م خدم الدولة العثمانية في البلاد العربية كثيرا في كل من غزة ونابلس وحلب ومصر . وعندما كان واليا على مصر (١٥٦٧م) ثار الإمام المطهر على رأس الزيديين فصدرت الأوامر لوالي مصر سنان باشا بإخماد هذا التمرد فقام بمهمته واسترد عدن وصنعاء (١٥٦٩) وبذلك حاز على لقب فاتح اليمن . وله في خدمة الدولة العثمانية مآثر منها استرداده تونس من الإسبان (١٥٧٤) (٥) .

وكان سنان باشا شغوفا بقراءة الكتب ، وقد أصدر فرمانا إلى مصطفى رموزي مؤلف فتحنامه يمن - وكان ضمن رجال معيته - بمقتضاه ينظم رموزي تاريخ اليمن ماضيا وحاضرا - في وقته - "شعرا في كتاب، فقام رموزي بواجبه خير قيام في شعر يسير غير متصنع . ثم أخذ سنان باشا هذا الكتاب لمفتي الحرمين الشيخ قطب الدين المكي ليستفيد منه ويكتب تاريخا بالعربية " منثورا " ففعل هو الآخر (البرق اليماني في الفتح العثماني كما ذكرنا) .

محتويات الكتاب

ينقسم كتاب رموزي إلى قسمين :

القسم الأول :

منظوم . ويقع الجزء الأول في (٣٠٧٠) بيت شعر . وهذا القسم عبارة عن مدخل للموضوع الأساسي .

يعتمد هذا القسم على كتب التفسير والكتب الأخرى . إنه عبارة عن خلاصة الأحداث والوقائع التاريخية ذات الدلالة والعبرة وهي توضح تاريخ اليمن والأحداث التي وقعت فيه كما توضح الموقف الاجتماعي والثقافي في اليمن .

وأهم مصادر المؤلف في هذا الجزء الذي يعتبر مدخلا هي :

- تفسير أبي إسحاق الثعالبي " الكشف والبيان " (توفي عام ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م) .
- كتب حسين واعظ الكاشفي صاحب كتاب المواهب العلية (توفي ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) .
- كتاب كُلِسْتَان للشيخ سعدي (توفي عام ١٢٩٢م) .
- تفسير " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " لعبدالله بن عمر البيضاوي (توفي ٦٩١ هـ/ ١٢٩١م) .
- جوامع الكلم لأبي بكر الشاشي (٢٩١ - ٣٦٥هـ) .
- نُقُول من بعض التفاسير الأخرى ومشكاه المصابيح وسير الصحابة ..(٦)

القسم الثاني :

وهو أصل موضوع الكتاب ويحمل اسم " فتحنامه يمن " يبدأ من البيت الشعري رقم (٣٠٧٠) وينتهي بالبيت رقم (١٨٥٨١) .

وهذا القسم هو الذي يتحدث عن فتح سنان باشا لليمن ، وهو فتح استمر سنتين ، واستيلاؤه على مائتي قلعة يمنية . ويعتبر رموزي هذا الجزء بمثابة الدفتر الثاني من كتابه ، والأول هو القسم الأول الذي سبق الحديث عنه ، والذي هو بمثابة المقدمة أو المدخل .

وهذا الجزء الثاني مهم لأنه يعتمد على مشاهدات المؤلف بنفسه ،

وعرضه ما يكتب من وصف وأحداث على سنان باشا . وهو مهم أيضاً ، لأنه يصور في أماكن كثيرة منه البنية الاجتماعية والثقافية للزيديين والقبائل اليمنية ، كما يصور من الناحية العسكرية كيفية الاستيلاء على ما يقرب من مائتي قلعة في اليمن وكيفية القضاء على تمرد الزيديين ، خلال مدة السنتين اللتين قضاهما سنان باشا في اليمن وهي من أول وصوله هذه البلاد في ٢٩ أبريل عام ١٥٦٩ حتى أول مارس عام ١٥٧١م ومعه جيشه الذي يبلغ (٤٠٠٠) شخص .

وبجانب الأحداث الرئيسية نجد المؤلف يؤرخ إيضاً لقيام سنان باشا بأداء فريضة الحج وذلك عند تركه اليمن وقبل وصوله إستانبول ، ولا ينسى رموزي بالطبع أن يتحدث عن الخدمات الإدارية والاجتماعية التي قام بها سنان باش في مصر .

نكرر القول هنا بأن رموزي شاهد الأماكن والأحداث بنفسه ونقول : إنه لذلك عبّر تعبيراً تصويرياً لعادات اليمن في زمنه ، ومعتقدات اليمنيين ، والمستوى الثقافي للشعب اليمني ، وطرز الحياة والمعيشة اليمنية . وقدم معلومات مفيدة أيضاً عن القبائل اليمنية ، ورؤساء هذه القبائل ، والأشراف ، والوضع الاقتصادي في اليمن ، وبالطبع الوضع الجغرافي ، لأنه كان مشتركاً في حملة تخوض حرباً في اليمن .

وكعادة مثقفي وكتاب زمانه ، كان مصطفى رموزي يؤيد ما يقول ويزينه بأبيات أو أنصاف أبيات من الشعر العربي أو الفارسي . وقبل هذا وبعده كان يزين كتاباته ويدعمها بآيات من القرآن الكريم وأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام .

ويؤكد " رموزي " أنه بنى كتابه هذا على الصدق ولم يبالغ فيه ومن قوله في هذا : لا تقارن بين كتابي هذا وبين الأساطير السابقة فكتابي هذا، الحمدلله كله للحق صدق وصواب (٧) .

وبعد انتهاء " الدفتر الثاني " أو " القسم الثاني " من فتحنامه يمن يأتي الجزء الثالث من هذا العمل الضخم .

يقع هذا الجزء في ٢٥٠٠ بيت شعر وهو " فتوحات حلق الواد وتونس" وهو جزء كتبه رموزي في وقت لاحق لوقت نظمه فتحنامه يمن . هذا الجزء خاص بحملة سنان باشا أيضاً على تونس . وواقعه حلق الواد واستخلاص تونس من أيدي الإسبان ، وموضوعاته مختلفة عما نحن بصدده الآن (٨) .

نسخ المخطوط

المعروف من نسخ هذا المخطوط حتى الآن أربع نسخ هي كالآتي :

١ - نسخة جامعة إستانبول وهي تحت رقم T . Y . 6045 .

٢ - نسخة مكتبة قصر طوب قابو قسم مكتبة روان رقم ١٢٩٧ .

وهي التي اعتمدنا هنا عليها .

٣ - نسخة مكتبة داماد إبراهيم باشا النوشهري رقم ٣٣ .

٤ - نسخة مكتبة (مِلّتْ) في الفاتح رقم " ١٣١١ منظوم " .

ونسخة المركز المصري للدراسات العثمانية بالقاهرة . وهي صورة فتوغرافية جيدة من نسخة مكتبة روان في قصر طوب قابو باستانبول . وبنفس المركز المصري للدراسات العثمانية بالقاهرة أيضاً ، صورة ضوئية للجزء الثالث من المخطوطة - موضوعنا - وهو فتحنامه تونس ، مصورة من نسخة جامعة إستانبول وهي نسخة مقروءة ومنسوخة بعناية فائقة .

(١) أوصاف نسخة مكتبة جامعة إستانبول :

- ٦٦١ ورقه في ١٣٢٢ صفحة .
- مزدانة بالمنياتور الملون ويبلغ عدد لوحاته ١٠٤ لكل لوحة عنوان يلفت النظر أنه عنوان طويل ومنثور على عكس الكتاب كله فالكتاب منظوم
- تمثل لوحات المنياتور في أغلبها إما فتح قلعة أو تسليم القلعة لقوات سنان باشا أو مراسم استقبال أو مراسم توديع .
- اسم الناسخ " أحمد لقا "
- تاريخ الاستنساخ ١٠٠٢هـ / ١٥٩٤م .
- أبعاد الصفحة ٢٩,٥ × ١٧,٥ سم .
- الصفحة على ١٥ سطراً .
- الخط جميل ، مقروء ، وعليه حركات .

(٢) أوصاف نسخة مكتبة قصر طوب قابو :

- ٢٠٥ صفحة مكتوبة على أربع عواميد
- مقاس كبير بالصفحة ٢٦ سطراً .
- نسخة متكاملة المحتوى .
- مقروءة واضحة .
- لهذه النسخة صورة فوتوغرافية بالمركز المصري للدراسات العثمانية بالقاهرة .

(٣) نسخة نَوْشَهرْ :

- ٢٠٧ ورقه في ٤١٤ صفحة .
- بالصفحة ٢٧ سطراً ويختلف ذلك في القسم الخاص بتونس فالصفحة على ٢٥ سطراً .
- تكاد تكون صورة من نسخة طوب قابو من ناحية الشكل والخط والتذهيب وعدد الصفحات . حتى يكاد التخمين يؤدي الى أن خطاطها عمل منها نسختين أهدى واحدة إلى القصر والأخرى إلى الصدر الأعظم في عصره وهو الداماد إبراهيم باشا النَوْشَهْري .

(٤) نسخة مكتبة مِلّتْ :

- ٣٣ ورقة في ٦٠ صفحة صغيرة .

- عبارة عن فتحنامه يمن لكنها ناقصة بطريقة واضحة .
- لا يعتمد عليها علمياً .
- عبارة عن نُقول من الدفتر الأول من المخطوطة .
- اسم الناسخ إسماعيل حقي .
- تاريخ النسخ ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م .
- النسخ من نسخة مؤرخة في ٩٧٧هـ .

الهوامش

١ - محمد حرب ، كتب الفتوح العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية ، مقال في مجلة (رسالة الخليج العربي) الرياض ، العدد (١٨) السنة (٦) تاريخ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ٢٠١ - ٢٣٢ .

٢ - Hulusi Yavuz, Kabe ve Haremeyn icin Yamen' de Osmanli Hakimiyeti , Istanbul 1984 , S . 140 .

٣ - A - g - e - S . 141 - 142

٤ - قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكى ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، تحقيق حمد الجاسر، الرياض ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ١٣٠ .

٥ - Meydan Zarausse, cilt 11, Sayfa 352/3 Istanbul 1973 .

٦ - Hulusi Yavuz, a . g . e . s. 147 .

٧ - انظر مصطفى رموزي مقدمة " كتاب تواريخ أخبار سابقة " ولايت يمن وفتوحات جديدة ولايت يمن وفتوحات حلق الواد وتونس " .



صفحة من نسخة جامعة استانبول ، عن نسخة المركز المصري للدراسات العثمانية بالقاهرة .

نسخة المركز المصري للدراسات العثمانية بالقاهرة ، مصورة عن نسخة روان - قصر طوب قابو في إستانبول . رقم ١٢٩٧ .

٨ - انظر المصدر السابق أيضاً وكذلك رموزي ، فتحنامه يمن ، نسخة مكتبة جامعة إستانبول T.y.6045

المصادر

١ - مصطفى رموزي ، كتاب تواريخ أخبار سابقة ولايت يمن وفتوحات جديدة ولايت يمن وفتوحات حلق الواد وتونس .

٢- مصطفى رموزي ، فتحنامه يمن
Istanbul Universitesi T. Y . 6045

٣ - قطب الدين المكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

المراجع

١ - محمد حرب ، كتب الفتوح العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية ، مقال في " مجلة رسالة الخليج العربي " العدد ١٨ السنة السادسة ، الرياض ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م صفحة (٢٠١ - ٢٣٢) .

٢ - Hulusi Yavuz, Kabe ve Haremeyn icin Yemende Osmanb Hakimiyeti (1517 - 1571) Istanbul 1984 .



ميناتور يصور «استشهاد فرهاد بك أحد كشاف مصر ، في وادي ميتم التابع لليمن .» الأصل ملون ، نسخة جامعة استانبول